

تفسير ابن كثير

قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا بِيَوْمِ الْقِيَامِ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْغَافِلِينَ
وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ

وقوله : (قل ما كنت بدعا من الرسل) أي : لست بأول رسول طرق العالم ، بل قد

جاءت الرسل من قبلي ، فما أنا بالأمر الذي لا نظير له حتى تستكروني وتستبعدوا بعثتي

إليكم ، فإنه قد أرسل الله قبلي جميع الأنبياء إلى الأمم . قال ابن عباس ، ومجاهد ،

وقتادة : (قل ما كنت بدعا من الرسل) ما أنا بأول رسول . ولم يحك ابن جرير ولا

ابن أبي حاتم غير ذلك . وقوله : (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) قال علي بن أبي طلحة

، عن ابن عباس في هذه الآية : نزل بعدها (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر)

[الفتح : 2] . وهكذا قال عكرمة ، والحسن ، وقتادة : إنها منسوخة بقوله : (ليغفر لك

الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) ، قالوا : ولما نزلت هذه الآية قال رجل من المسلمين :

هذا قد بين الله ما هو فاعل بك يا رسول الله ، فما هو فاعل بنا ؟ فأنزل الله : (ليدخل

المؤمنين والمؤمنات جنات) [الفتح : 5] . هكذا قال ، والذي هو ثابت في الصحيح أن

المؤمنين قالوا : هنيئاً لك يا رسول الله ، فما لنا ؟ فأنزل الله هذه الآية . وقال الضحاك : (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) : ما أدري بماذا أومر ، وبماذا أنهى بعد هذا ؟ وقال أبو بكر الهذلي ، عن الحسن البصري في قوله : (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) قال : أما في الآخرة فمعاذ الله ، قد علم أنه في الجنة ، ولكن قال : لا أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا ، أخرج كما أخرجت الأنبياء [من] قبلي ؟ أم أقتل كما قتلت الأنبياء من قبلي ؟ ولا أدري أينخسف بكم أو ترمون بالحجارة ؟ وهذا القول هو الذي عول عليه ابن جرير ، وأنه لا يجوز غيره ، ولا شك أن هذا هو اللائق به ، صلوات الله وسلامه عليه ، فإنه بالنسبة إلى الآخرة جازم أنه يصير إلى الجنة هو ومن اتبعه ، وأما في الدنيا فلم يدر ما كان يؤول إليه أمره وأمر مشركي قريش إلى ماذا : أيؤمنون أم يكفرون ، فيعذبون فيستأصلون بكفرهم ؟ فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن ابن شهاب عن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أم العلاء - وهي امرأة من نسائهم - أخبرته - وكانت بايعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - - قالت : طار لهم في السكنى حين اقترعت الأنصار على سكنى المهاجرين عثمان بن مظعون . فاشتكى عثمان عندنا فمرضناه

، حتى إذا توفي أدرجنه في أثوابه ، فدخل علينا رسول الله فقلت : رحمة الله عليك
أبا السائب ، شهادتي عليك ، لقد أكرمك الله . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
: " وما يدريك أن الله أكرمه ؟ " فقلت : لا أدري بأبي أنت وأمي ! فقال رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - : " أما هو فقد جاءه اليقين من ربه ، وإني لأرجو له الخير ، والله
ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي ! " قالت : فقلت : والله لا أزكي أحدا بعده أبدا .
وأحزني ذلك ، فتمت فرأيت لعثمان عينا تجري ، فجئت إلى رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - فأخبرته بذلك ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " ذاك عمله " . فقد
انفرد بإخراجه البخاري دون مسلم ، وفي لفظ له : " ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل
به " . وهذا أشبه أن يكون هو المحفوظ ، بدليل قولها : " فأحزني ذلك " . وفي هذا
وأمثاله دلالة على أنه لا يقطع لمعين بالجنة إلا الذي نص الشارع على تعيينهم ، كالعشرة ،
وابن سلام ، والغميصاء ، وبلال ، وسراقة ، وعبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر ،
والقراء السبعين الذين قتلوا ببئر معونة ، وزيد بن حارثة ، وجعفر ، وابن رواحة ، وما
أشبه هؤلاء . وقوله : (إن أتبع إلا ما يوحى إلي) أي : إنما أتبع ما ينزله الله علي من الوحي

، (وما أنا إلا نذير مبين) أي : بين النذارة ، وأمري ظاهر لكل ذي لب وعقل .